قضايا الأدب ISSN: 2602- 7305
المجلد السادس/العددالأول السنة:2021

سلطه الأهواء في الخطاب النقدي العربي المعاصر
نحو تأسيس لشعرية الذات

فايزة بن كروش(ط.د)
جامعة المسيلة
د. أحمد التجاني سي كبير
جامعة ورقلة

تاريخ الإرسال: 2020-08-18	تاريخ القبول: 2021-01-29

الملخص

تنفتح مقاربتنا على مسار سيميائي جديد في الخطاب النقدي العربي المعاصر بعد انفتاحه على النظريات الغربية بتحليل بعد مغيب في الخطاب وهو بعد الأهواء، انفتاح نقدي عربي هو نوع من التنويع على الأصل، للتوسيع من دائرة اشتغال السيميائيات؛ لتصل إلى مناطق إنسانية، وسيرورات دلالية جديدة، بوصفها استكمالا لبعض جوانب النقص في النظرية السيمائية في إطار ما يسمى تجربة الإحساس الاستهوائي فليس الهوى مجرد رديف عرضي للإدراك إلا من خلال الفعل بل هو طاقة خاضعة لمفصل يتم وفق آليات مخصوصة، للتعمق أكثر في هذه النظرية وما تفتحه من آفاق جديدة لمساءلة ومقاربة الخطابات وننطلق من طرح الإشكاليات التالية:

ما هو واقع الدراسات النقدية العربية المعاصرة التي عنت بإعادة الاعتبار إلى العلاقة الانفعالية التي تقيمها الذات بعُدة سيميائية لا نفسية أو اجتماعية لأبعاد تنظيم العواطف تنظيرا، تطبيقا وانجازا؟ وإلى أي مدى فتح النقد الغربي المعاصر أفاقاً جديدة لدراسة الأبعاد الانفعالية؟ وما أهمية دراسة الأهواء داخل الخطاب الأدبي؟ وهل تضيف تلك الدراسة جديدا للدلالات بصفة عامة وللإنسانية بصفة خاصة؟

الكلمات المفتاحية : الأهواء، الخطاب النقدي العربي المعاصر، الذات

المنارة للاستشارات

Abstract:

Our approach opens up a new semiotic path in contemporary Arab critical discourse after its openness to Western theories by analyzing after a lack of speech, which is after whims, an Arab monetary openness is a kind of diversification of the original, to expand the circle of semiotics to reach humanitarian areas. And new semantic biographies, as a complement to some of the shortcomings of the siamoid theory in the context of the so-called experience of the sense of anaesthetic, is not merely an occasional repertoire of perception only through action, but is a separate energy that is carried out according to specific mechanisms, to deepen More in this theory and what it opens up new horizons to hold the discourses accountable:

To what extent has contemporary Western criticism opened new horizons for the study of emotive dimensions? What is the importance of studying the whims within literary discourse? Does that study add new meanings in general and to humanity in particular?

Keywords:passions,contemporary Arabic critical discourse,the self

البحث:

اقترابا من العوالم الدلالية التي تؤثث فضاء الخطاب، لا بد لكل مقاربة من التوسل بجهاز مفاهيمي يصدر عن منظومة اصطلاحية واعية انطلاقا من أن "مفاتيح العلوم مصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منه عما سواه"[1]، من هنا ستكون أول محطات هذه الورقة البحثية عرض المفاهيم التي استندت عليها هذه المقاربة والبداية مع ماهية الهوى .

1- فاضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 ، ص170 .

المنارة للاستشارات

يعرف **الهوى**: في علم النفس أنه "عاطفة نمت على حساب غيرها من العواطف ،فالهوى يجعلنا نرى كل شيء من خلاله "[1] فهو حالة نفسية تنمو على حساب حالات مشابهة لها فهو إحساس يجعل المرء يرى كل شئ "هو دافع يحرك صاحبه ،وعاطفة لأنه لأن تأثيره عنيف وشديد وهو أكثر منة ذلك ظاهرة نفسية كلية تبدل من عالم الشخصية بأكملها "انفعال طويل الأمد، وهيجان"[2] فهو من حيث الطبيعة "يعد سلسلة من الحالات الانفعالية التي تتطور خارج البعدين المعرفي التداولي ، بحيث يشكل بعدا جديدا هو البعد الانفعالي ،فالإنسان لا يفعل فقط ،بل يضمن الفعل شحنة انفعالية تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها الفعل"[3].

ومما يستخلص مما تم طرحه فالهوى عاطفة نمت على حساب غيرها من العواطف "الهوى يضع عصابة على عيني المرء ليحجب عنه ما ينفره من رؤيته وفي المقابل يدفعه إلى رؤية ما يمليه عليه "[4]

لقد ارتبطت قضية "الأهواء" في الثقافة العربية بالمنظور الديني ارتباطا وثيقا، وتناولها الفقهاء المسلمون، في الغالب، بالذم والتحذير ودعوا إلى تفاديها ومجاهدة النفس عليها؛ لكونها تزيغ الإنسان عن جادة الصواب، وتسقطه في أحابيل الرذائل والآثام.

1 – أنس شكشك: علم النفس العام القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ط، دار النهج،حلب، سوريا، 2008، ص80.

2– المرجع نفسه الصفحة نفسها .

3– قريماص، جاك فونتنيي: سيميائية الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"، ترجمة وتعليق سعيد بنكراد، ترجمة وتعليق سعيد بنكراد، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، ، 2010،ص 13.

4 – ماهر بوصباط: نقد الحجاج وسيميائية الأهواء، من خلال كتاب البخلاء للجاحظ ،ط1، الدار التونسية للكتاب، 2015، ص 159.

المنارة للاستشارات

وقد بنوا حكمهم هذا على مجموع الآيات القرآنية التي تضمنت الحديث عن الهوى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41) ﴾[1]

غير أن بعض الفقهاء لم يطلقوا هذا الحكم على سائر الأهواء، وإنما خصوا به ما تجاوز الاعتدال منها وأي ما زاد عن القدر المطلوب لاستجلاب منفعة الإنسان ودفع المضرة عنه، وهو قدر يحدد ما أحله الله من مثل الميل إلى الطعام للإقبال عليه إقامة للجسم (دون إفراط)، وشهوة النكاح للحفاظ على النسل.

يقول عن ذلك ابن الجوزي: "اعلم أن **الهوي**: ميل الطبع إلى ما يلائمه. وهذا الميل قد حلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار"[2].

غير أن عدم وقوف النفس من هواها، عند الحد المطلوب لتحقيق النفع أو درء المضرة، وميلها إلى الاستزادة من كل ما يلذ، عمم الحكم الاستهجائي على سائر الهوى، ما قل منه وما كثر؛ «و لما كان الغالب في موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع، أطلق ذم الهوى والشهوات، لعموم غلبة الضرر، لأنه بعد أن يفهم

1 سورة النازعات: الآية 40-41.

2- ابن الجوزي، عبد الرحمن: ذم الهوى، ت : خالد عبد اللطيف اليع العلمي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1، 1998، ص 35.

المنارة للاستشارات

المقصود من وضع اقوى في النفس، وإذا فهم تعذر وجود العمل به و تدر»[1] ولهذا السبب غلب ذم الهوى وانتشر في العقلية العربية، وساد معاجمها أيضا.

يقول اين منظور مثلا: "وهوى النفس: إرادها، والجمع الأهواء . التهذيب: قال اللغويون الهوى محبة الإنسان الشيء و غلبته على قلبه ؛ قال عز وجل: وفي التنفس عن الهوى؛ معناه ماها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل ومني تكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب"[2].

وهذا ربما، تفتقر الثقافة العربية الإسلامية إلى دراسات متعمقة تحدد الأصناف الأهوائية، وترتبها على نحو ما هو معروف في بعض الثقافات الأخرى.

إن لمباحث الهوى تاريخ عريق في ميادين كل من "الفلسفة" و"علم النفس الفسيولوجي "و"علم الأخلاق"، فقد كانت مثار جدل واسع بين الفلاسفة منذ ما قبل التاريخ، وظل البحث فيها متواصلا حتى العصور الحديثة، ولم ينقطع حتى يوم الناس هذا.

وقد هيمن على التفكير الفلسفي – الذي يشكل مرجعية كل تفكير في قضية معينة– نزوع نحو تصنيف عام قوامه الفصل بين ما يرد، من السلوكات الإنسانية، إلى العقل، وما يؤوب إلى " الهوى"، على اعتبار صلة التقابل والتضاد التي تجمع بينهما، والتي بمقتضاها ألحق الأول بمفهوم " اللوغوس" في حين أدرج الثاني تحت مفهوم " الباطوس"، ضمن منظور تطغى عليه الاعتبارات الأخلاقية.

1- المرجع نفسه: 35.

2- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، د.ت، اخلد 15، مادة: هوى، ص 372.

المنارة للاستشارات

فاللوغوس يتكفل بكل ما هو منطقي، ويناط ضمن تصنيف أعلى، بـ«العقل، بالحياة، بالنور، بالكون، بالانسجام، بالسماوي، بالشمولية، بالتناسق وبالتمييز» بينما يتصل **الماطوس** ما هو تأثري(pathique)، ويرتبط بالقيم المضادة؛ أي بـ«الجنون، بالموت، بالظلام ، بالفراغ، بالنشاز، بالجوفي، بالتنوع، بالخصوصية بالفوضى وبالسديمية»[1].

وفي إطار التوجه التصنيفي نفسه، قوبل " الهوى" ب "الفعل" على اعتبار أن الأول يحيل على "الجمود" بينما يدل الثاني على " الفاعلية"[2]؛ فإذا أصاب الأول الثاني زرع فيه الاضطراب، والفوضى وشوش عليه المعنى.

أما في ميدان علم النفس، فقد خصص لجانب الأهواء فرع علمي أطلق عليه اسم "سيكلوجية الانفعالات"[3]، وأمام هذا الإرث المعرفي، سعت السيميائية إلى أن تشق لنفسها، في دراسة الهوى، سبيلا جديدا مخالفا، لا أثر فيه هذه التصنيفات الفلسفية التعميمية التي تطغى عليها النظرة الأخلاقية.

قبل أن يتبلور مشروع سيميائية الأهواء في الكتاب الذي أصدره **قريماس** وجاك فونتانيي سنة 1991 فإن الاتجاه نحو الانفعالات والأهواء بدأ في التبلور منذ المقال الذي أصدره كريماص ضمن معجمه: ''في المعنى 2'' تحت عنوان''جهات الذات '' « de la modulisation de l’etre»فكان هذا المقال هو بداية الشروع في التعامل مع سيميائية الانفعال، والاهتمام بالمشاعر الجسدية والأهواء الذاتية، بعد أن

1 Parret H. Les passions. Essais sur la mise endiscours de la subjectivité, Mardaga, Bruxelles, 1986, pp.9-10.

2- المرجع نفسه، ص 12.

3 Fantanille.)-Zilberberg.C, Tension et signification, pp 221-222.

المنارة للاستشارات

كان التعامل سابقا مع سيميائية العمل والفعل، وقد درس في هذا المقال تكييفات الذات الاستهوائية من خلال استحضار منطق الجهات: القدرة، الإرادة، الرغبة، الواجب. وتناول الأهواء في مقاله الصادر سنة 1983 أين حلل غريماس هوى الغضب، فتقصي فيه مفردة "الغضب "معجميا، وحاول استجماع مرادفافا اللغوية، مع ما تجره من معان أهوائية، مراعيا في دراسته الناحية التركيبية وخصوصا تركيبته الجهية معزل تام عن التحليل الصنافي الذي تقدمه الفلسفة.

وقد توصل من دراسته المعجمية إلى كشف طبيعته بين – الذاتية، كما استخلص له برنامجا سرديا يتألف من ثلاث مراحل هي[1]:

الحرمان ← السخط ← العدوانية

إلا أن موضعه من النظرية، وحدوده فيها لم تتبين إلا في كتاب" **سيميائية الأهواء**" حيث سعى مؤلفا هذا الكتاب إلى تشييد نظرية للأهواء داخل النظرية السيميائية العامة، تضمن لها الاستقلال التام.

وانفتحت السيمياء في العقد الأخير من القرن الماضي على مجالات متعددة، مكن من تطوير النظرية والتوسيع من دائرة موضوعاتها وتجسيد امتداداتها من حيث الرؤية والمنهج حيث أصبحنا أمام تخصصات سيميائية عديدة من قبيل سيمياء الاهواء "بموازة مع السيميوطيقا السردية والخطابية، انبثقت سيميوطيقا أخرى تقترح تكييف

1- Gireirmas, Du sensII, p 226.

المنارة للاستشارات

المفاهيم والتصورات من اجل معالجة ظواهر مستمرة وتدريجية مثل الانفعالات والأهواء والإحساسات "[1] .

لقد حصل تحولّ بارز في النّظريّة السّيميائيّة مع ظهور سيمياء الاهواء التي قادها جاك فونتاني، إذ معه لاقت النّظرية تحوّلا إبستيمولوجيا وفرضت سلطتها المعرفيّة.

2- سيمائيات الهوى : الخطاب الأدبي من حالات الأشياء إلى الوجود الكيفي للذات.

أهملت الدراسات السابقة التي اعتمدت على الجانب المعرفي والتداولي للخطابات البعد الحسي في مقاربتها، والتي لها وضعها وكيانها المؤثر في الخطاب الأدبي"ذلك أن السيميائيات مشروع علمي مدرج ضمن "سلمية إنسانية "ويجب أن تظل كذلك لكي لا تفقد روحها "وهو أمر عادة ما ننساه "[2] ،لذلك وجدت سيمياء العواطف بِعدِّها امتدادا شرعيا للسيمياء السردية"حيث انشغل السيميائيون مدة طويلة بمعنى العمل، أي حالة الأشياء (موضوع سيميائية العمل) وخلال العقود الأخيرة،أصبحوا يولون أهمية لمعنى الهوى أوالحالة النفسية (موضوع سيمياء الأهواء ،بعد أن صبت هذه الأخيرة اهتمامها كله على "التحويل"، وهو التحويل الذي تنتقل الذات بفعله من حالة إلى أخرى، مهملة تماما هاتين الحالتين المتطرفتين. علما بأن الحالة في السيميائية نوعان: حالة العالم الخارجي المحول (حالة الأشياء وحالة نفس الذات المحولة (إحساسها أثناء عملية التحويل، فمن التركيز على الفعل في حالة

1- حليمة وازيدي:سيميائيات السرد الروائي،من السرد الى الأهواء، ط1،منشورات القلم المغربي،2017،ص21.

2-المرجع نفسه، ص 367، 368.

المنارة للاستشارات

المسار السردي، إلى التركيز على الكينونة في حالة المسار الهووي .كانت نظرية الكيفييات مفتاح ذلك، فكيفيات الذات تحتل بؤرة مركزية في الخطاب الأدبي وفق الحمولات الدلالية لفاعلية الهوى في النص ،لا استنادا لمقولات علم النفس.

لقد استغرقت السيميوطيقا وقتا طويلا في اكتشاف " الانفعالات والأهواء، والإدراك الحسي ودوره في الدلالة (...)،لقد استغرقت وقتا طويلا لانه كان لابد ان تكتشف الوسائل لمعالجة كل هذه التيمات باعتبارها خصائصا للخطاب ،لا بوصفها خصائصا للفكر، وباعتبارها تيمات خاصة بنظرية الدلالة ،لا كتخصص من تخصصات علم النفس الإدراكي."[1]

ويندرج هذا التطور في إطار السعي لتوسيع إمكانيات النظرية المنهجية، وللكشف عن بعض فرضياتها المعلنة والتي لم يعلن عنها سابقا لعدم تناسبها مع التوجه العام للنظرية في المراحل الأولى.[2]

فقد خطت السيمائيات مسارا جديدا"بعد أن أدخلت هذا البعد المغيب عن عمليات التواصل لأن التواصل إذا كان في اتجاه واحد فإن الموضوع أو المتقبل يستقبل إشارات المرسل وينتج السلوك المطلوب منه أو حتى السلوك الذي يفرض عليه، أما

1- حليمة وازيدي: سيميائيات السرد الروائي، من السرد الى الأهواء، ط1،منشورات القلم المغربي، 2017، ص197

2 فونطان، جاك، سيمياء المرئي ، ت. د. علي أسعد، دار الحوار، اللاذقية – سوريا ، ط1، 2003، ص، 09.

المنارة للاستشارات

عندما تكون العلاقات تبادلية، فإن كل عنصر يحاول من جانبه بناء الدلالة وصياغة المعنى، ويتم التواصل."[1]

فالإنسان لا يفعل فقط، إنه بالإضافة إلى ذلك يضمن الفعل شحنة انفعالية تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل. وهي إشارة أيضا إلى طبيعة كينونة الذات الفاعلة وتأثيرها في فعلها لذلك فإن " هذا البعد يتجسد في مرحلة أولى من حيث التحققات الخطابية من خلال أدوار استهوائية انفعالية، هي الوجه الآخر، داخل الخطاب، للأدوار التيمية (صياد، وفلاح، وأستاذ، هي أدوار تيمة تحيل على أدوار اجتماعية، في حين يحيل الغضوب والبخيل والعنيد على حالات غير طبيعية عادة ما تكون عرضية وغير مسترسلة في الزمان والمكان، وبالإضافة إلى ذلك عادة ما تكون مخلقة سلبيا من الناحية الاجتماعية والدينية: الغضوب والبخيل والغيور."[2].

3- جاذبية الفعل وتمنع الهوى في الخطاب النقدي العربي المعاصر: التقبل العربي لسيمياء الهوى.

سيمياء الهوى امتداد للسيميائيات العامة، حيث اعتمدت على البعد المعرفي، والمبادئ العامة لها. "جاءت مكملة لسيميائية العمل، حيث إن مشروعها ينهض على أساس سد ثغراتها، وملء البياضات التي تعتور بناءها النظري. غير أن هذا المشروع، بحسب رأي معظم الباحثين، ينماز بالدرجة الأولى بقيام بنائه العلمي على مجموعة من الحدوس المعرفية.وعلة ذلك كونه لايزال في طور التشييد النظري. فالاقتراحات،

1-حسين خمري، هوى الخطاب، سيمائيات التمشهد وبلاغة الذات، مجلة فصول، ع 81،82 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012م، ص524

2 - سعيد بنكراد: نفسه، ص: 12.

المنارة للاستشارات

والنماذج النظرية، والخطاطات المعيارية، التي يقدمها استجابة لشرط إبداع مقاربة ملائمة للمكون الهووي داخل الخطاب، تشكل عماد التفكير في القضايا الجديدة داخل النظرية.

بيد أنها من جهة أخرى، تفرض على الباحث ضرورة تنقيحها، أو بالأحرى تخليصها من زخم التفاصيل المخلة أحيانا بالانسجام المطلوب، في أفق استكمال مشروع التأسيس النظري المتماسك لمكوني الأهواء والتوترية في الخطاب، علما أن هذا ما تقتضيه شروط الطبيعة العلمية للنظرية السيميائية بالأساس".[1]

إن أهمية هذا التوسيع للموضوع السيميائي في أنه يورط الفعل السيميائي في الأسئلة الشائكة التي تطرحها الثقافة، أسئلة العواطف والجسد. وفي هذا السياق يمكن للسيميائيات أن تقدم حلولا معرفية لمجموعة من الأسئلة الاجتماعية والثقافية "يمكن القول إن البناء النظري الخاص بالأهواء يستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية من (السيميائيات الكلاسيكية) بتعبير (فونتنيي)، أي مما جاءت به سيميائيات الفعل، أو السيميائيات السردية "إن الأمر يتعلق بتنويع على الأصل."[2]

فبعد أن أنهى (غريماس) مشروعه السيميائي السردي، التفتَ إلى الأهواء، "وهو نوع من الانفتاح والتنويع على الأصل، للتوسيع من دائرة اشتغال السيميائيات؛ لتصل إلى مناطق إنسانية، وسيرورات دلالية منتجة جديدة، وسيميائية الأهواء وإن كانت مستقلة عن سيميائية الفعل، إلا إنها تتفاعل وتتكامل معها في البحث عن السيرورات

1 – مُحَّد بادي: سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع مقاربة أبستمولوجية، مجلة عالم الفكر، العدد3 مج35، الكويت، يناير مارس2007، ص:312.

2– قريماس، جاك فونتنيي : سيميائية الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"، ترجمة وتعليق سعيد بنكراد، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة – بيروت، ، 2010م،ص15.

المنارة للاستشارات

الدلالية التي تعمل على إنتاج المعنى، لذلك لايمكن فهم مفاربة الهوى، إلا من خلال ما يقدمه النموذج النظري الذي قامت علية السيميائيات السردية كما صاغها غريماس.[1]

بعبارة أخرى، يمكن القول: إن البناء النظري الخاص بالأهواء يستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية من السيميائيات الكلاسيكية بتعبير فونتانيي، أي مما جاءت به سيميائيات الفعل، أو السيميائيات السردية بحصر المعنى. إن الأمر يتعلق بتنويع على أصل، أو هو الانفتاح المتزايد على مناطق إنسانية جديدة لاتلغي النموذج النظري الأصل، بل تقوم بإغناء مفاهيمه وتوسيع دائرة اشتغاله. فعلى الرغم من أن للظاهرتين منطقين مختلفين (باعتبار الانفعال سابقا في الوجود على المعرفة)، إلا أنهما لا يكشفان عن مضامينهما إلا من خلال السيرورة التوليدية التي أشرنا إليها أعلاه".[2]

فإذا كانت سيميائية الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع ،فإن سيميائية الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء حيث تسعى إلى أن تقحم الحالات النفسية في كل سيرورة تأويلية "ابستمولوجيا سيمياء العواطف تفتح بالتالي ميدانا جديدا للبحث بفضل البعد العاطفي "[3] ولعل هذه الجهود وأخرى سعت على اعتماد البعد العاطفي في تحليل الخطاب، والولوج به إلى مجال الدراسات السيميائية، وذلك انطلاقا من أن العواطف والأحاسيس تنبع من الذات المبدعة ولها أثر واضح وملموس في النص، وهذا ما ركز عليه علم النفس بوصفه

1- ينظر قريماص، جاك فونتنيي: سيميائية الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"، ترجمة وتعليق سعيد بنكراد، ص 15.

2 - سعيد بنكراد: نفسه، ص: 15.

3- جاك فونتاني :سيمياء المرئي، ترجمة ،علي أسعد ،ط1،دار الحوار ،اللاذقية،سوريا،2009،ص 100.

المنارة للاستشارات

منهجا يعتمد على تقلبات النفس وأثرها في النص، غير أن المنطلق الذي تعتمد عليه سيمياء العواطف هو تلمس البعد العاطفي في الخطاب ودلالاته فيه، ولا يعتد بتأثير العاطفة من الناحية النفسية في المتلقي، بل باعتبارها منتجة للمعاني والدلالات والإيحاءات الدالة على الذات المبدعة، والتركيز على العواطف المؤثرة التي لها تأثير على المسار السردي للخطاب.[1]

في مقاربتها تعتمد سيمياء العواطف على أثر العاطفة في الذات، فقد رأي جاك فونتاني أن العاطفة تتوافر في الخطاب باعتبار حدين، يتمثل الأول في تحديدات صيغية مجسدة في العوامل والكفاءات، والثاني تحديدات توترية تمثل التوترات المختلفة التي تخضع لها الذات في مواجهتها للحدث[2]ولا شك أن سيميائية الأهواء تعد أهم تلك المناهج، إذ أنها تسعى إلى أن تفتق مجمل الأنظمة العلامية التي ينبني عليها النص من خلال أبعاده الاستهوائية، فعالم الحس أو الكينونة عالم لايمكن تجاوزه في الدرس السيميائي، ولا " يكون العالم الإنساني إنسانيا إلا في حدود إحالته على معنى، بل إن وجوده ذاته هو وجود للمعنى "[3]

تسعى بهذه الصورة سيمياء الهوى إلى إعادة الاعتبار لبعد الحالة الملغي من اهتمام الدراسات السابقة، في إطار رؤيا جديدة تتبناها هذه الدراسة، والتي تنظر إلى النص على انه حالة أشياء تؤثر في حالة النفس، من خلال إعادة الاعتبار إلى

1- ينظر علي جعفر العلاق : الدلالة المرئية ، قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، ص42.

2- ينظر ليندة عمي :قراءة في قصيدة "أراك عص الدمع " لأبي فراس الحمداني من منظور سيمياء العواطف، مجلة الخطاب، العدد الرابع، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، جانفي 2009، ص 387.

3- A.G Grimas sémantique structurale, presses Universitaires de France ,.1986. P180.p05

المنارة للاستشارات

العلاقة الانفعالية التي تقيمها الذات مع نفسها والعالم الخارجي ودراسة أبعاد تنظيم العواطف تركيبا ودلالة بعدّة سيميائية لا نفسية.

فالانفتاح على دراسة الأهواء هو نوع من الانفتاح والتنويع على الأصل، للتوسيع من دائرة اشتغال السيميائيات؛ لتصل إلى مناطق إنسانية، وسيرورات دلالية منتجة جديدة بتنقيبيها في داخل العامل، في عواطفه التي تحركه، وتدفعه إلى أفعال معينة، تطويقا لمختلف الأبعاد الدلالية المتولدة عن اتخاذ التجربة العاطفية مصدرا لإنتاج المعنى .

إن استقراء كينونة الدلالات المضمرة وراء البناء الهووي قصد تحديد المعنى بطريقة علمية مقننة، منهج على أهميته مغيب بل يكاد يكون منعدما تنظيرا وتطبيقا في الدرس النقدي العربي، فكثيرة تلك الدراسات التي تعني بالجوانب النفسية للأهواء والتي لا يمكن أن تقدم إضافة نوعية تقودنا إلى فهم السلوك الهووي داخل النص ،تعمل على أن تبني مقاربة للأهواء الذاتية مقاربة سيميائية تنصب على دراسة الهوى ضمن المستوى التركيبي والدلالي **فالدراسات الاستهوائية النقدية العربية قليلة جدا مقارنة مع الأبحاث الكثيرة التي اهتمت بسيمياء العمل تطبيقا وانجازا.**

فإذا كانت السيميائية تسعى إلى استكشاف البنيات الدلالية التي تتضمنها الخطابات والأنشطة البشرية بنية ودلالة ومقصدية، بوصفها العلم الذي" يهتم بدراسة أنظمة العلامات "[1] من هنا لا بد من التعريف والإطلاع على كافة فروع السيميائية

1-بيير غيرو: السيمياء، تر: أنطوان أبي زيد، الطبعة الأولى منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، 1984، ص5.

المنارة للاستشارات

دون الإقتصار على سيمياء قريماس أو ما يعرف بسيمياء الفعل، انفتاحا على مجالات وافق جديدة مغيبة في التحليل المنهجي .

حيث طفقت تظهر هنا وهنالك وعلى استحياء بعض المقالات التي تتطرق لإشكالية الهوى داخل مدرسة باريس، على غرار مقال مُحَمَّد الداهي (سيميائية الأهواء المنشور بمجلة عالم ا لفكر المجلد 35 سنة 2007.[1]

ظهر بعد ذلك كتاب الداهي (سيميائية السرد بحث في الوجود المتجانس) سنة 2009، وكانت ا لخطوة الأجرأ في هذا الاتجاه ترجمة سعيد بن كراد الرائدة لكتاب غريماس وجاك فونتاني ، ولا يزال الخوض في هذا المضمار محتشما [2]

وإذا ما حاولنا البحث في خلفيات هذا الإقبال المحتشم على سيميائيات الهوى، فيمكن ردها إلى :

– استعصاء خطاب الهوى واستغلاقه في حال ما لم يكن الدارس محيطا بالخلفيات المعرفية التي يستند إليها.

— تتطلب المشاريع العلمية العمل الجماعي المفتقد في الوسط النقدي العربي وخطاب الأهواء ليس قضية علمية يمكن أن ينهض بها فرد واحد بل هي قضية فكر وثقافة.

1–مُحَمَّد الداهي : سيميائية الأهواء، مجلة عالم الفكر، العدد3 المجلد 35، الكويت، يناير مارس2007

2– مُحَمَّد الداهي : سيميائية السرد،ط1، بحث في الوجود المتجانس ،رؤية للنشر ، القاهرة ،2009

المنارة للاستشارات

– يمكن إضافة ما يتعلق بالنظرة الثقافية العربية للأهواء المتصلة بالدين أساسا، فقد تناولها الفقهاء بالذم ولهذا بقي الناقد العربي على مسافة بعيدة من مباحث الهوى.

إن دراسة هوى الذات داخل خطابات الأدبية بعيدا عن المقاربات النفسية، بحثا عن آثار المعنى داخل المقاطع النصية التي تتجلى فيها صورة الهوى ضرورة ملحة تعيد للخطاب النقدي العربي جماليته المفقودة، ليصبح التعامل في إطار هذه النظرية ممكنا مع ارقي ما يتعلق بالإنسان ألا وهو الشعور، إن ظهور الأهواء الإنسانية في فضاء الصرح النقدي العربي يعيد مباشرة الاهتمام إلى الحياة الداخلية. من خلال إعادة الاعتبار للبعد الانفعالي، ويفتح مجالا خصبا للأبحاث التي ستهتم بدراسة الهوى بعدة سيميائية لا نفسية لأبعاد تنظيم العواطف تركيبا ودلالة.

ما لا شك فيه أن هذه النتائج ليست نهائية وحاسمة، ولم تستوف كل عوالم سيمياء الهوى ومعالم رؤيتها في النقد العربي ومدى مسايرته للنقد الغربي، ففي مجال الدراسة الأدبية لا وجود لمعيار حدي يمكن أن يصحح فكرة ما تصحيحا نهائيا أو يخَطئها تخطئة نهائية، ولذلك فهي مقترح أولي قد يكتسب قيمة مضافة انطلاقا من جهود إضافية رؤى مستقبلية تكمله أو تعدل من نتائجه.

المنارة للاستشارات